﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣﴾ [الشّعراء: 221 - 223]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من بيان صفات المصطفى إلى صفات ضِدّه

بعد أن بيَّنتِ الآياتُ السّابقة رعايةَ اللّه وعنايتَه بنبيِّه ﷺ في عباداته وجميع أحواله، وأنَّ من كان هذه حالُه فإنَّه لا ينزل عليه إلّا ملائكةُ الرّحمن بالقرآن - ناسب أن تنتقل الآياتُ إلى بيان على مَن تنزّل الشّياطينُ حقًّا، وأنَّ ما يَظنُّه المشركون من أوهام باطلة لا تَليق بمَن رعاه اللّهُ واصطفاه، فهو انتقالٌ من بيان أوصافِ المصطفى، ورعايةِ المرسِل به سبحانه، إلى بيان أوصاف ضِدِّه، وطَردِ الرّحمن له.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَفَّاكٍ﴾: (أفك) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على قَلبِ الشّيءِ وصَرفِه عن جهته[1]، ومنه الأَفْكُ: وهو القَلْبُ والصَّرْفُ، لأنَّ الكذبَ مَصْروفٌ عنِ الوَجْه الحَقِّ، وكُلُّ قَوْلٍ مَصْروفٍ عنِ الحَقِّ فهو إفْكٌ[2]، والإفْكُ: الكَذِبُ، ورَجُلٌ أَفّاكٌ، أي: كَذّابٌ، يُقال: أَفَكَهُ يَأْفِكُهُ أَفْكًا: إذا كَذَبَ عليه[3]، والأفّاكُ: الذي يَأفِكُ النّاسَ، أي: يَصرِفُهُم عنِ الحَقِّ بِباطِلِه[4]، ومِن مَعاني الإفْكِ أيضًا: الإثْمُ والزّورُ والبُهْتانُ والباطِلُ[5]، والمراد بالأفّاك في قول اللّه تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: هو الإنسانُ الكثيرُ الإفكِ، وهو أشنعُ الكَذِبِ وأقبَحُه[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أفك).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، وابن الأثير، النّهاية: (أفك).
(3) المناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 81، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 219.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (أفك).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (أفك).
(6) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 13/ 147.

2) ﴿يُلْقُونَ﴾: (لقي) أَصْلٌ يَدلُّ على طَرْحِ شَيْءٍ[1]، والإلقاءُ: طَرْحُ الشَّيءِ حيثُ تلقاه، أي: تراه، ثمَّ صارَ في التَّعارف اسمًا لكلِّ طَرْحٍ[2]، ويُطلَقُ على الإفْضاءِ بالكلامِ ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾، وعلى حُصولِ الشَّيءِ في النَّفْسِ، كأَنَّ مُلْقيًا ألقاهُ، أَي: مِنْ غير سَبْقِ تهيُّؤٍ، وقولُه: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: 37]، فعبارةٌ عنِ الإصغاءِ إليه[3]، وحقيقةُ الإلقاءِ في قول الله تعالى: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: شِدَّةُ الإصغاءِ، حتَّى كأنَّه إلقاءٌ للسَّمع من موضعه[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

علاقةُ الشّياطينِ بالأفّاكين وطيدةٌ، ومَفْسَدتُه طريدةٌ

تُخبر الآياتُ الكريمة بصفات من تتنزّل عليه الشّياطين، بعد نفي أن تكون نازلةً على سيِّد الخَلْق ﷺ، وهم الكَهَنةُ الكَذّابون الآثمون، الذين يتخرَّصون بالباطل، فتُلقي الشّياطينُ سمعَها إلى السَّماء لمحاولة الاسترَاق، وذلك قبل أن يُمنَعوا، فتُلقي الشّياطينُ ما سمعوه إلى الكهنة، فيكذبون معها مائةَ كِذْبَة، وتُلقيه الكَهَنةُ إلى النّاس ترويجًا لباطلهم، وهؤلاء وهؤلاء كاذبون فيما ينقلون[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصلِ جملة ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾:

تَنزُّلُ الشَّياطينِ مقتصرٌ على أوليائهم منَ الإنسِ

فُصِلَ قولُ الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّه استئنافٌ مَسوقٌ لبيان استحالةِ تنزُّل الشّياطين على رسول الله ﷺ، بعد بيان امتناع تنزُّلهم بالقرآن في قوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[6]، وهذا الاستئنافُ نحويٌّ لا بيانيٌّ، فهو

(1) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والزّبيديّ، تاج العروس: (لقى).
(3) الرّاغب، المفردات: (لقي).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 206.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 414، 415، 416.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 268.

استئنافُ معنًى جديدٍ، يبيّن نزاهةَ النّبيّ ﷺ من نزول الشّياطين عليه، وبراءَتَه من ذلك، ويُخبِر بحقيقة مَن تَنَزّل الشّياطينُ عليه، لبيان العلاقة الضِّدّيَّة.

غرضُ الاستفهام بـ﴿هَلْ﴾:

الاستفهام في قول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ ليس على حقيقته، وإنّما هو في معنى الخبر الذي يُراد تحقيقُه وتأكيدُه؛ وإنَّما جاء في صورة الاستفهام اهتمامًا بشأنه، فالاستفهامُ من لوازم الاهتمام[1]، وعليه يكون الاستفهامُ للتّقرير[2]، فالنّظمُ عَدَلَ عنِ الخبر إلى الإنشاء، واصطفى منَ الإنشاء أسلوبَ الاستفهام لتحقيق الإثارة، وتهييجِ النّفس؛ لتتلقّى جليلَ الخبرِ، وهو أنَّ النّبيَّ بمَنأًى ومَنجًى مِن تنزّل الشّياطين عليه.

الاستفهامُ أنجعُ منَ الخبر في تقرير المعاني

بلاغةُ اختيارِ مفردة ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾:

آثَرَ النّظمُ القرآنيّ اختيارَ مادّةِ النّبأ باستعمال الفعل ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ دون الإخبار أو الإعلام؛ وذلك لأنَّ النّبأ يحمل منَ المعاني التي تتناسب مع السّياق، فالنّبأ يكون في الخبر العظيم ذي الشّأن، بعكس الخبر فهو أعمّ، إذ يكون في العظيم وغيره[3]، ونفيُ تنزّلِ الشّياطين على النّبيّ منَ الأمور الخطيرة الجليلة ذاتِ الشّأن، وإنباءُ المخاطَبين بهذا الأمر منَ الأهمّيّة بمكانٍ في بيان الحقِّ، وفضحِ الباطل وأهلِه؛ فاكتسابُ هذا النّبأ أهمّيَّتَه باعتبار تعلقّه بالحقّ النّازل، والباطلِ المُدَّعَى.

بيانُ الحَقّ وفَضحُ الباطل منَ الأمور الجليلة، ذاتِ الشّأن العظيم

دلالةُ استعمالِ المضارع لفِعلِ التّنبئة:

التّعبيرُ بصيغةِ المضارع ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿هَلْ

الحقُّ نبأٌ ظاهرٌ وحُكمٌ باقٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 205.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 135.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 528، 529.

﴿أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أفاد معنى التّجدُّد المُترقَّب في المستقبل، فإنباءُ الله ﷻ في تجدُّدٍ استمراريٍّ ما استمرّتِ الدُّنيا، وسيظلّ هذا الإنباء قائمًا في كتابه، يتجدّد بتجدّد قراءَته؛ ليَعْلَم كلُّ قارئٍ أو مستمعٍ أنَّ القرآن الكريم ليس من جنس ما تتنزّل به الشّياطين على أوليائهم.

نُكْتَةُ أسلوبِ الخطاب في ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾:

أسلوبُ الخطابِ أعظمُ أثرًا وأشدُّ لفتًا للحقائق

المخاطَبون بالتّنبئة في قول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ هم كفّارُ مكّة، الذين ادَّعَوا نزولَ الشّياطينِ على النّبيّ ﷺ، وأسلوبُ الخطابِ أوقعُ في النّفس من عموم الإخبارِ المُجرَّد، ففيه استثارةٌ لنفوسهم، وتنبيهٌ لعقولهم؛ ليَتنبَّهوا إلى جليل ما يُلْقَى عليهم.

بلاغةُ استعمالِ حرفِ الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾:

تمكّنُ الشّياطينِ مـنَ الـكَـهَـنـة الدّجّالين

استُعمل حرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾ في قول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؛ للدّلالةِ على شدَّة تمكُّن الشّياطين من أوليائهم وكَهَنَتِهم الذين يوحون إليهم كاذبَ القول؛ فهم مُستعلون عليهم، ومُستحوذون على عقولهم استحواذًا يمنعهم منَ الالتفات إلى الحقّ، وإدراكِ الصّواب.

عِلَّةُ تقديمِ شِبه الجملة ﴿عَلَىٰ مَن﴾:

مقصودُ السّياق هـو الأولـى بالتّقديم

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَىٰ مَن﴾ على عامله ﴿تَنَزَّلُ﴾ في قول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؛ للاهتمام بالمُتَنزَّل عليه، وأصلُ التّركيب: (مَن تنزَّلُ عليه الشّياطين)، فلمّا قُدِّمَ المجرور دخل حرفُ ﴿عَلَىٰ﴾ على اسم الاستفهام، وهو ﴿مَن﴾؛ لأنَّ ما صَدّقها هو المُتنزَّل عليه، ولا يُعكّر عليه أنّ المتعارف أن يكون الاستفهام في صدر الكلام، لأنَّ أسماء الاستفهام تضمَّنت معنى الاسميَّة وهو أصلها، وتضمَّنت معنى همزة الاستفهام كما تضمّنته

﴿هَلۡ﴾؛ فإذا لَزِم مجيءُ حرفِ الجَرِّ مع أسماء الاستفهام ترجَّح فيها جانبُ الاسميَّة، فدخل الحرفُ عليها، ولم تُقَدّم هي عليه[1].

نوعُ ﴿مَن﴾ وغرضُها:

الاستفهامُ من لوازم الاهتمام

﴿مَن﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ للاستفهام، وهو ليس استفهامًا حقيقيًّا، فلا يحتاج إلى جواب؛ إنّما هو استفهامٌ صوريّ معناه الخبر، وهو كناية عن أهمّيَّة الخبر، وسيق الخبرُ في صورة الاستفهام للإيذان بأهمّيّته، بحيثُ إنَّه ممّا يَستفهم عنهُ المُتحسِّسون ويتطلّبونه، فالاستفهامُ من لوازم الاهتمام[2].

بلاغةُ الانتقال منَ النّفي إلى الإخبار:

القرآنُ لا يترك المقامَ بلا جوابٍ، بل يأتي بالحقِّ الكاشفِ عنِ التّخاليط

انتقل النّظمُ الحكيم من نفي تنزّل الشّياطين في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ إلى الإخبار عن تنزّلها في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؛ فالجملتان متَّحدتان في المعنى، فيكون المُراد: ما تنزّلت الشَّياطين بِالقُرْآنِ على مُحَمَّد ﷺ، وإنَّما تنزَّلَت على الأفّاكين، وغرضُ الانتقال: إلقامُهمُ الحَجَر، وإسخاطُ توقّعاتِهم من ترك السّاحة بلا جوابٍ، إلى الإجابة التي تكشف عن إرادتهم إلحاقَه ﷺ بالكَهَنة، ففي هذا الانتقال تبرئةٌ لساحته ﷺ، ووضعُ الجوابِ في مكانه اللّائق به.

عِلّةُ تعريفِ ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾:

المشركون يعرفون مُسْتَرِقي السّمعِ مِن مَردَة الشّياطين

التّعريف في لفظ (الشّياطين) في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ تعريفٌ بأل العهديّة؛ فليس كلّ الشّياطين يقومون باستراق السّمع، وإنّما هم شياطينُ معهودون، معروفون بالتّمرّد، جاوزوا حدّهم، وتعدّوا طورَهم، والمشركون يعرفونهم، فذِكْرُهم بالتَّعريف دليلُ استقرارِ صفاتِهم في أذهان المشركين؛ وهو ممّا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 205.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 205 - 206.

يكشف معرفةَ المشركين بالحقِّ، وأنَّ هناك من يقوم بهذا الإفك من أعوانهم وأنصارهم، ففيه إيماءٌ إلى رميهم بالتَّعامل مع الشّياطين.

نُكْتَةُ تكرارِ الفعل ﴿تَنَزَّلُ﴾ دونَ الفاعل:

مدارُ النَّفي على فعل التّنزّل، والفاعلُ تابعٌ له

كُرِّرَ فعلُ التّنزّل دونَ الفاعل في قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، فحُذِفَ الفاعلُ على مقتضى الظّاهر، وذُكِرَ الفعلُ على مقتضى الحال لا الظّاهر؛ وذلك أنَّ مقتضى الظّاهرِ أن يُقال: (هل أنبِّئُكُم على مَن تَنزّل الشّياطينُ، على كلّ أفّاكٍ أثيم)، أو يُكرّر فعل التّنزّل مع الفاعل، فيُقال: (تنزّل الشّياطينُ على كلِّ أفّاك أثيم)، فآثَرَ النّظمُ تكرارَ الفعلِ دونَ الفاعلِ لأنَّ مقصودَ النّظم هو نفيُ التّنزّل من أصله، فعليه مدارُ الأمر؛ فكان تكرارُ فعلِ التّنزّل أوكد؛ ليَثْبُتَ في الذّهن ابتداءً في جملة الاستفهام، ويثبت انتهاءً في جواب الاستفهام، وفي تكرير الفعل تأكيدٌ على كَذِب وافتراءِ الشّياطين؛ والتّنزّلُ منَ الشّياطين هو ما يوَسْوِسون به، ويوجّهونها نحو الشّرّ والإثم البَيّن[1].

دلالةُ استعمالِ حرفِ الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾:

سلطانُ الشّياطينِ على أوليائهم

لمّا كان الحرف ﴿عَلَىٰ﴾ مُفيدًا للاستعلاء، والاستعلاءُ تمكُّنٌ وسيطرة، دلّ استعمالُه في قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ على أنّ الشّياطين استحوذت على أوليائهم منَ الكَهَنة، وخالطت عقولَهم، فلا يَصْدُرون إلّا عنها، ولا يُروِّجونَ باطلَهم إلّا بها.

دلالةُ استعمالِ لفظِ العمومِ ﴿كُلِّ﴾:

الكَهَنةُ الأفّاكون غايةُ الشّياطين

لفظُ العموم ﴿كُلِّ﴾ مستعملٌ في معنى التّكثير، ويكون المعنى من استعماله في قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: تنزّل الشّياطينُ على كثير من الأفّاكين، وهم الكُهّان[2]، ويجوز أن تكون

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5419.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 205.

للإحاطة والشّمول، ويجوز أن يكون المُراد نزولَها على كلّ كاملٍ في الإفك[1].

دلالةُ إضافةِ ﴿كُلّ﴾ إلى ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾:

حصرُ مطمعِ الشّياطين بالأفّاكين الآثمين

إذا اعتُبرت دلالةُ العموم ﴿كُلّ﴾ في قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، فإنّ إضافتها إلى ﴿أَفَّاكٍ﴾ أفاد اختصاصَ النّزولِ على كلٍّ من اتّصف بالإفكِ الكثيرِ، والإثمِ الكبيرِ منَ الكَهَنةِ والمُتَنبّئة، وتخصيصَه بهم بحيثُ لا يتخطّاهم إلى غيرِهم[2]، وهو يُفيد القَصْرَ بطريق اللّغة، لا بأساليب القَصْر المعهودة، فهو قصرٌ لُغَويٌّ لا اصطلاحيٌّ.

براعةُ اقترانِ صفتَي ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾:

أشدُّ الكَذِبِ يوصِلُ إلى أعظمِ الإثم

جمع النَّظمُ الكريم في قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ بين صفتين يُعدّان من أبشع وأشنع الصّفات، وهما كثرةُ الإفكِ مع كثرةِ الإثم، بحيثُ لو اجتمعتا في شخص، كانتا محلًّا خِصْبًا لتَنزّل الشّياطين عليه، يقذفان تخاليطَهم وأكاذيبَهم في قلبه المفتون، وعقلِه المَأفون، والإفكُ: الكذبُ[3]، وصيغت الكلمة على زنة (فَعّال) للمبالغة في إفكه، فالأفّاكُ: هو الذي يُكثر الكَذِبَ[4]، والثّانيةُ مأخوذة منَ الإثم، وهو الذّنب، والأثيم: الكَذّابُ[5]؛ وصيغة (فَعيل) للمبالغة في الإثم، فحسُن اجتماعُهما، لتكونا تربةً صالحة يُفْرِغُ فيها الشّياطينُ أضاليلَهم.

نُكْتَةُ تقديمِ ﴿أَفَّاكٍ﴾ على ﴿أَثِيمٍ﴾:

تقديمُ الأخصِّ على الأعمِّ، والسّببِ على المُسَبَّب

قُدِّمت صفةُ الإفكِ - وهي الكَذبُ الكثيرُ - على صفة الإثم - وهي الذّنب - في قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، من

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 136.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 268.
(3) الفراهيديّ، العين: (أفك).
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 538.
(5) الفراهيديّ، العين: (أثم).

باب تقديم الأخصّ على الأعمّ، ولبيانِ أنَّ هذا الإفكَ هو من أسباب الإثم، فهو من تقديم السّببِ على المُسَبَّب؛ فإنَّ الكذبَ والافتراء يوصِلان إلى رُتبة الإثم العظيم، فإنَّ الآثمَ يوصَف بالإثم لأنَّه كذَب وافترى، وأتى الكثيرَ منَ الأعمال الفاسدة والباطلة، والآيةُ ذَكَرت أحدَ أنواعِ هذه الأعمالِ، وهو ما يتعلّق بأمر تنزّل الشّياطين منَ الإفك المبين.

بلاغةُ التّعبيرِ بمُفردة الإلقاء:

تعيينُ المُحْتَملِ اللّغويّ بالسّياق أوقـعُ في بيان المُرَاد

مفردةُ الإلقاءِ في قول الله تعالى: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ تدلّ على إلقاء شيءٍ على آخر، وقدِ احتملت هذه المفردة معنى الإلقاء بإجمالٍ، فالإلقاءُ لفظٌ عامٌّ يحتمل معانيَ كثيرةً في أصل اللّغة؛ فجاء بيانُ هذا الإجمالِ في السّياق بقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾؛ ليجعلَ معنى الإلقاءِ محصورًا في معنى الكذبِ والافتراء.

دلالةُ التّعبيرِ بالمضارع ﴿يُلْقُونَ﴾:

بـطـلانُ كـلامِ الكَـهَـنةِ في كلّ زمان ومكان

أفاد التّعبيرُ بصيغة المضارع ﴿يُلْقُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ استحضارَ تلك الصّورةِ العجيبةِ أمامَ النّاس؛ لتكون عبرةً وعِظةً لهم؛ فيُدرِكون أنّ كلامَ الكَهَنةِ كلامٌ مكذوب، ناجِمٌ عن أوهام الشّياطينِ وتخييلاتِهم، وأنّ كَهَنةَ اليوم ما هم إلّا دجّالون مُفترون، يُرَوِّجون الضَّلالاتِ والشَّعْوذات.

توجيهُ إعرابِ جُملة ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾:

توجيهُ الإعـرابِ قائمٌ على دقائقِ المعاني

جملة ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ تعتريها ثلاثةُ إعراباتٍ، ولكلّ إعرابٍ معنًى يُلازمُه:

الأوّل: يجوز أن تكون الجملة في محلّ النّصب على الحال من ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، أي: تنزل الشّياطينُ مُلقين السّمعَ[1]؛ فهذا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 343.

الإعرابُ يُفيد مقارنةَ التّنزّلِ للإلقاء[1]، وهو يُؤذِنُ بحِرْص الشّياطين على سُرعة الإلقاء، وفيه إشارةٌ إلى عجَلتهم في هذا الأمر؛ ضمانًا لتَرويج أكاذيبِهم.

الثّاني: أن تكون الجملةُ في محلّ الجَرّ صفةً لـ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾، لأنّه في معنى الجمع[2]؛ فالفعلُ في جملة ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ مسندٌ إلى ضمير الجمع، وساغ أن تكون صفةً للمفرد ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ لأنَّ هذا المُفرد مُرادٌ به الجمع، فهو نكرةٌ تفيد الشّيوعَ والعموم، فلمّا كان وصفُ المفردِ بالجمع في ظاهر الأمر، دلَّ هذا على تَوغُّل صفةِ الإفك في البشاعة والشّناعة، وأنّ الأفّاك من كثرة كَذِبه، وتَعَدُّد أباطيله، فإنّه يقوم مقامَ الكذّابين؛ وهذا فيه تنفيرٌ شديد من تلك الصّفة.

الثّالث: ألّا يكون للجملة محلٌّ منَ الإعراب، بأن تُستَأنف، كأنّ قائلًا قال: لِمَ تتنزّلُ على الأفّاكين؟ فقيل: يفعلون كيتَ وكيتَ[3]، فهذا الإعرابُ يدلّ على كون تنزّل الشّياطين على الأفّاكين أمرًا شائعًا، وأنّه منَ الوضوح بمكان، ممّا جعل النّاسَ يتساءلون: لماذا تتنزّل الشّياطينُ على هؤلاء؟ فجاء الجواب: يلقون السّمعَ.

بلاغةُ التّعبير بالمصدر ﴿ٱلسَّمْعَ﴾:

مبالغةُ الشّياطينِ والكُّهان في الإنصات

السّمعُ قد يُراد به آلةُ السّمعِ، وقد يُراد به المسموعُ منَ الكلام؛ وعلى المعنى الثّاني، يكون قد عبّر النّظمُ عنِ المسموع بالمصدر: ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾، أي: يُلقي الشّياطينُ السَّمعَ، وهو ما يسمعون ممّا استرقوا سَمعَه من حين حَدَث منَ السّماء[4]، والتّعبيرُ بالمصدر يُفيد المبالغةَ الشّديدة في نقل المسموع، والحِرْص على استيعابه، والتّحوّط في إلقائه؛ ليَضمنَ جدواه منَ التّأثير في قلب المُتَلَقّي.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 269.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 343.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 343.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 538.

بلاغةُ المجاز في إلقاء السّمع:

إذا اعتُبر لفظُ السّمع بمعنى آلة السّمع، وهي الأُذُن، فيكون في قول الله تعالى: ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ مجازٌ، شُبِّهَ توجيهُ حاسَّةِ السّمعِ إلى المسموع الخَفيِّ بإلقاء الحَجَر من اليد إلى الأرض، أو في الهواء، وهذا أبلغُ في الإصغاء، لأنَّ فيه إمالةَ السّمعِ إلى المسموع، ليَعيَ ما يُقال له[1].

إمالةُ السّمعِ إلى المسموع أبلَغُ في الإنصات

نوعُ واو ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ﴾ ودلالتُها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ تحتمل أن تكون حاليّةً، ويكون ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ﴾ مبتدأ، و﴿كَٰذِبُونَ﴾ خبرًا، والجملةُ حاليّةً[2]؛ والضّميرُ في ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ﴾ إمّا أن يعود على الأفّاكين، أي: أنّ هؤلاء قلّ من يَصْدُق منهم فيما يَحكي عنِ الجِنّي، وقيل: الضّمائر للشّياطين، أي: يُلقون السّمع إلى الملأ الأعلى قبل أن يُرجَموا، فيَخْتَطِفونَ منهم بعضَ المغيّبات، ويوحون به إلى أوليائهم، ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ فيما يوحون به إليهم، إذ يَسمعونَهُم لا على نحوِ ما تكلّمت به الملائكةُ لشرارتهم، أو لقصور فهمِهم أو ضبطِهم أو إفهامِهم[3]، ويجوز أن تكون الواوُ عاطفةً، عطفت ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ على جملة ﴿يُلۡقُونَ﴾[4]، وعلى القول بالعطف، فإنّها تكون في موضع الحال؛ لأنَّها معطوفةٌ على جملة الحال، في أحَدِ أوجُه إعراب جملة ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾، وعلى كلٍّ فإنّ الواوَ - سواءً كانت حاليّةً أو عاطفة - كشفت عن كَذِب الشّياطين ومَن يوحون إليهم، وأكّدت على أنّهم يُلْقون زُخرُفًا منَ القول وزورًا.

احتمالُ الواوِ أن تكون حاليّةً أو عاطفةً

نُكْتَةُ استعمالِ الأكثريّة بعدَ العموم:

إن سألَ سائلٌ فقال: كيف قيل: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾، بعد ما

الأفّاكُ قد تَصْدُر منه بادرةُ صِدقٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 206.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 147.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 152.
(4) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 19/ 132.

قضى عليهم أنَّ كلَّ واحدٍ منهم أفّاك؟ أي: على القول بعود الضّمير في ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ﴾ إلى ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾، فالجوابُ: أنَّ الأفّاكين هم الذين يُكثرون الإفكَ، ولا يَدلُّ ذلك على أنَّهم لا يَنطِقون إلّا بالإفك؛ فأرادَ أنَّ هؤلاء الأفّاكين قَلَّ مَن يَصدُق منهم فيما يُحْكى عن الجنّيّ، وأكثرُهم مُفْتَرٍ عليه[1]، أي: أنَّ الكذب فيهم مركَّبٌ؛ فهو كذِبٌ ابتداءً، وكَذِبٌ في الكذب؛ فالأكثرُ يكذِب في الكذب فيما يوافَق مصالحَه، والصّنفُ الآخَر - الأقلُّ منهم - ينقل الكَذِبَ كما هو.

فائدةُ ذِكْر الكذبِ بعدَ الإفكِ والإثم:

ذُكِرَ لفظُ ﴿كَٰذِبُونَ﴾ المتّصفُ به ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٣ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾، والإفكُ هو الكَذِبُ، والإثمُ يدخل فيه معنى الكذب كذلك، ونُكْتَةُ ذلك: أنَّه ذكر اختيار الشَّياطين لكلِّ أفّاك أثيم كي يُلقوا السّمعَ في أُذُنه، وهذا وصفٌ ثابتٌ قائم في أولئك، ثمّ أخبرتِ الآيةُ أنَّ الكَهَنة يَكذِبون الأكاذيبَ العريضة بعد إلقاء السَّمع، وهو صفةُ فعلٍ؛ لأنَّه قد يُتوهَّمُ أنَّ الأفّاكين الآثمين قد يلتزمون بما تُلقيه الشَّياطينُ، فدَفَعَه بقوله تعالى: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾.

دفعُ تَوهُّمِ التزامِ الأفّاكين بما تُلقيه الشَّياطين

دلالةُ التّعبير باسم الفاعل ﴿كَٰذِبُونَ﴾:

جاء التَّعبيرُ باسمِ الفاعل في قوله تعالى: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾؛ للدّلالة على ثبوت الكَذِب ودَوامِه، سواءً كان منَ الشّياطين أم من أوليائهم، فقبلَ المَنعِ بالرّجم كانت تَسْتَرِقُ السَّمعَ، فتَجيءُ بكلمة حَقّ، فتقذِفُها في أُذُن وليّه، وتزيدُ فيها أكثرَ من مائة كَذِبة[2].

كَـذِبُ الأفّاكين مُتوالٍ لا حَدَّ له

بلاغةُ اسميّةِ الجملة ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾:

جاءتِ الجملةُ ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ اسميّةً؛ ليكونَ المعنى معها

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 343.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 415.

ثابتًا ومحقَّقًا، ومِن ثَمّ، فإنّ مجيءَ تلك الجملةِ اسميّةً دلالةٌ على ثبوت الكَذِب للأكثريّة منَ الشّياطين، أو منَ الأفّاكين الدّجّالين؛ بحيثُ تظلّ تلك الصّفةُ دائمةً لهم، لا ينفكّون عنها، ولا تنفكّ عنهم؛ ولمراعاة الفاصلة القرآنيّة.

ثـبـاتُ المعـنـى ومـراعـاةُ اللّفظِ مـن خـصـائـص الـفـواصـل القرآنيّة

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»